

الفصل الثاني

الكتب والمؤلفون

العلوم والفنون التي شتمتها حركة الترجمة ، أوامر محمد علي بشراء وجمع الكتب اللازمة للمدارس أو للترجمة من فرنسا وإيطاليا وإنجلترا وتركيا ، كان لكل مدرسة « خصوصية » مكتبة تضم أحدث الكتب الأوروبية ، الكتب التي ترجمت في عصر محمد علي كانت : ١ - لواحد من هيئات التدريس الأجنبية بالمدارس المصرية : ٢ - أو لواحد من كبار المؤلفين في أوروبا في القرنين ١٧ و ١٨ ، أمثلة ، معظم الكتب ترجمت لتستعمل في المدارس ، شواهد ، بعض الأساتذة الذين ترجمت كتبهم ؛ الدكتور كلوت بك ، كتب التي ترجمت : بعضها للتدريس ، والبعض الآخر لخدمة الحالة الصحية في مصر ، كتب النوع الثاني وخاصة : « كنوز الصحة » و « الدرر القوال » تأليفهما وترجمتهما لتنفيذ لرغبة محمد علي ، انتشارهما بين أفراد الشعب ؛ الدكتور « برون » ترجمة موجزة له ، جهوده العلمية ، الجمعية المصرية واتصال بالطباء الأوروبيين في مصر ، اتصاله ببعض مشايخ الأزهر ، كتبه التي ترجمت

اتجهت الترجمة في عصر محمد علي لخدمة المدارس ، والمصانع ، والجيش ، والأسطول ، والإدارات ، أى بعبارة أصح لخدمة المنشآت الحديثة التي خلقها محمد علي خلقا ، ولهذا نجد الكتب في هذا العصر تترجم في هذه العلوم والفنون :

- ١ - الطب البشرى ^(١) والطب البيطرى ، وما يتصل بهما من العلوم الطبيعية كالطبيعة والكيمياء ، والنبات والحيوان . . . الخ مما كان يدرس في مدارس الطب ، والطب البيطرى والصيدلة والزراعة .
- ٢ - العلوم الرياضية من حساب وجبر وهندسة ، وهندسة وصفية ، وميكانيكا ، وهندروليكا ، وحساب مثلثات . . . الخ مما كان يدرس في مدارس الهندسة ، والمدارس الصناعية .
- ٣ - العلوم الحربية والبحرية ، وما يتصل بها من فنون الرسم والعلوم الرياضية مما كان يدرس في المدارس الحربية والبحرية .
- ٤ - العلوم الاجتماعية أو الادبية كالتاريخ والجغرافيا ، والاجتماع والجيولوجيا والفلسفة والمنطق . . الخ مما كان يدرس أو يترجم في مدرسة الآلسن .

(١) ذكر Bowring. Op. Cit. p. 140 أن الكتب التي ترجمت في مدرسة الطب المصرية منذ تأسيسها حتى سنة زيارته لمصر (١٨٣٧ - ١٨٣٨) كانت في الفنون الآتية :

١ - علم التشريح ٢ - علم التشريح المزمى ٣ - الفسيولوجيا ٤ - الطبيعة ٥ - الكيمياء ٦ - النبات ٧ - المادة الغنية ٨ - علم السموم ٩ - علم الصحة ١٠ أمراض النساء والأطفال ١١ - رسائل في التشريح العام ١٢ - علاج الاختناق ١٣ - الجراحة العسكرية ١٤ - الأربطة الجراحية ١٥ - أمراض الجلد ١٦ - قوانين المستشفيات العسكرية .

وقد ذكرنا أن السيطرة في أوائل عهد محمد على كانت للغة الإيطالية ثم انتقلت منها للغة الفرنسية، ولهذا نجد أن الكتب الأولى القليلة التي ترجمت، نقلت عن اللغة الإيطالية، ثم أصبحت الترجمة في معظمها عن اللغة الفرنسية، والفن الوحيد الذي نقلت بعض كتبه وتعليقاته عن الإنجليزية هو قوانين وتعاليم الأسطول المصري بحكم أن إنجلترا لها السبق في هذا الفن؛ أما إن نقل كتاب في علم آخر عن هذه اللغة فقد كان يترجم عن الترجمة الفرنسية لهذا الكتاب.

وكانت الترجمة عن هذه اللغات إلى اللغتين التركية والعربية، فترجمت الكتب الحربية إلى اللغة التركية لأن معظم طلاب المدارس الحربية في عهدها الأول كانوا من أبناء المالك والأتراك، كما ترجمت بعض كتب خاصة في التاريخ والسير وشئون الحكم إلى اللغة التركية إجابة لرغبة محمد علي، وليلطلع عليها هو، ويفيد منها، أما بقية الكتب في الفنون والعلوم الأخرى فقد ترجمت إلى اللغة العربية لأن تلاميذ المدارس المدنية كانوا جلهم إن لم يكن كلهم من المصريين.

ومذ فكر محمد علي في خطته الإصلاحية، وبدأ ينشأ جيشه وأسطوله ومدارسه رأى أنه في حاجة إلى كميات كبيرة من الكتب باللغتين العربية والتركية ليستعين بها أسانذة المدارس وطلابها، فاستورد الكتب الكثيرة من تركيا (أنشئت فيها الطباعة منذ سنة ١٧٢٨ م) غير أنه رأى أن معظم هذه الكتب لا ترضى أطاعه فهي كتب قديمة لا تيسر مع التقدم العلمي الحديث في أوروبا فأنشأ مطبعته العربية في بولاق وراح يسعى لجمع الكتب من كل مكان سعى العالم الهاوى^(١)؛ وقد بذل الجهد كل الجهد لاختيار الكتب التي يمكن أن تفيد لنشر التعليم أو الثقافة في مصر، أو أن تحقق ما يريده من إصلاح، أو تثقيف لعقول مساعديه من رجال الحكم الجديد.

ففي سنة ١٢٢٤ هـ (١٨٠٩) أرسل عثمان نور الدين أول مبعوث مصري إلى أوروبا لتلقي العلم في إيطاليا وظل ينتقل بينها وبين فرنسا وانجلترا مدة ثمان سنوات، ولم يعد إلى مصر إلا في سنة ١٢٣٢ (١٨١٧)، وقيل عودته أمره محمد علي أن يشتري لحسابه من فرنسا وإيطاليا كتباً في مختلف العلوم والفنون السياسية بمبلغ ٥٠,٠٠٠ روبل^(٢).

وفي سنة ١٢٣٣ (١٨١٨) أمر محمد علي بشراء ٦٠٠ كتاب^(٣) فرنسي أخرى؛ وعند ما استندعت بعثة ميسو بويه M. Boyer^(٤) الحربية إلى مصر كلف ضباطها أن يحضروا معهم مجموعة من الكتب الفرنسية في الفنون الحربية المختلفة.

1) Dunce. Printing and Translations under med ali, etc. p. 328.

2) نشرت هذا الخبر جريدة النيس، عدد ٤ يوليو سنة ١٨١٨، عمود ٤، أظن : Dunce, Op. cit P. 328, note 1.

3) Catiaul, Le Regne de Med. Ali. . . etc. pp. 357-88.

4) Douin, Une Mission Militaire Française auprès de Med aly. P. 23.

وهكذا دأب محمد علي على سياسته في شراء الكتب اللازمة للدارس أو لترجمة من أوروبا وتركيا منذ هذا التاريخ المبكر حتى آخر سنة من حياته ، ففي الخامس من شهر ذي القعدة سنة ١٢٤١ (يونيو ١٨٢٥ م) صدر أمر منه إلى باغوص بك يشير به إلى إرسال الكتب الأفرنجية — المختصة بتعليقات وأمر البحرية السابق تسليمها — لمكتب الجهادية ^(١) .

وسرعان ما عرف هذه الرغبة جميع المحيطين بمحمد علي من أجنب ومصريين فتسابقوا لاتباعها ، فن أمثلة ذلك ما فعله المسيو ، دروفتي Drovetti ، فنصل فرنسا في مصر فقد حمل إلى محمد علي في سنة ١٢٤١ (١٨٢٦) مجموعة من الكتب المختصة بعلوم وقوانين البحرية ، هدية إليه ، من قبل ناظر ترسانة بحرية طولون ، ففرح بها محمد علي وحصل له السرور ، وصدر أمر منه في ١٠ ذي القعدة إلى باغوص بك يرى فيه لزوم إرسال قبضة سيف وشال كشمير إلى الناظر المومي إليه بصفة هدية ^(٢) .

وفي ١٩ ربيع الثاني سنة ١٢٤٣ (٩ نوفمبر سنة ١٨٢٧) صدر أمر من محمد علي باشا إلى أحد مندوبي مصر بلوندره . . . أنه قد انصل بعلبه تأليف وطبع كتاب يختص بالسفن الميرية الجاري لإنشاؤها برسم الحكومة الانجليزية ، وبه مقدار المصاريف التي صرفت عليها ، وكتاب آخر يختص بتعليم الأطفال البندنيين ، ويشير به بمشترى بعض نسخ من هذا وذاك ، وإرسالها بسرعة للزومها بطرفه . . . ^(٣) .

وفي ٢٥ شوال سنة ١٢٤٤ (١٠ أبريل سنة ١٨٢٨) صدر أمر منه إلى ولده إبراهيم باشا بأن يرسل له كتاب الاستحكامات القوية الوارد من الاستانة قبلا ، وملحق به أطلس يشتمل على ٢٤ شكلا مكمل له . . . ^(٤) .

وفي وثائق عابدين شواهد كثيرة تؤيد هذه الرغبة السامية ، ففي ١٦ صفر سنة ١٢٤١ (١٩ سبتمبر سنة ١٨٢٥) صدر أمر من محمد علي باشا إلى صادق أفندي المقيم بالاستانة أن يحصل على كتاب في الجراحة باللغة التركية اسمه : د شاني زاده في فن الجراحة ^(٥) .

وفي رسالة أخرى مؤرخة في ٢٤ ربيع الأول سنة ١٢٤١ (٦ نوفمبر سنة ١٨٢٥) كلف المدعو توسيزا ^(٦) Tossizza أن يبحث في محال بيع الكتب في أزمير عن بعض الكتب التي يطلبها محمد علي . وكان يتقدم إليه أحيانا بعض رجال دولته يرغبون التوصية لشراء أحدث المؤلفات العلمية التي صدرت في أوروبا بعد عودتهم ، فكان محمد علي يسرع بتلبية هذه الرغبة ، فقد صدر منه أمر إلى أرتين بك في ٢٥ ذي الحجة سنة ١٢٦١ (٢٥ ديسمبر سنة ١٨٤٥) بأن يبحث بك المهندس ، أوضح بإفادته المقدمة

(١) أمين ساي باشا ، تقويم النيل ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ .

(٢) تقويم النيل - ج ٢ ، ص ٣٢٣ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٣٠ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٤٧ .

(٥) وثائق عابدين ، دفتر رقم ٢٢ رسالة رقم ٢٠٢ ، وانظر أيضا P. 329 Donne, Op. cit.

(٦) وثائق عابدين ، دفتر رقم ٣١ رسالة رقم ٢٢٠٤ .

إلى بأنه من بعد عودته من أوروبا للآن صار نشر جملة كتب في علم الهندسة ، وتطلب بها استحضر تلك الكتب للوقوف على ما تدون بها ، فليزم مخبرة أسطفان أفندى (رئيس البعثة بفرنسا) عن إرسال تلك الكتب لهجت بك وخصم أثمانها من استحقاقه .

وفي السنة السابقة لوفاة محمد على أعد كلوت بك ولامبير بك قائمة بالمعدات والكتب الخاصة بالمواليذ الثلاثة والكيمياء والنبات فأصدر محمد على في ٦ رجب سنة ١٢٦٣ (٢٠ يونيو سنة ١٨٤٦) أمراً إلى أرتين بك باستحضار تلك الآلات والكتب ، من فرنسا ، مادامت تكون غير موجودة بالمخازن ،^(١) .

هذا وقد كان لكل مدرسة خصوصية مكتبة كبيرة تضم أحدث الكتب الأوروبية التي كانت تصدر حينذاك في أوروبا وإن كان معظمها باللغة الفرنسية ولمؤلفين فرنسين ؛ ذكر المسيو بروكي^(٢) Brocchi ، أنه شاهد أثناء زيارته لمدرسة بولاق في سنة ١٨٢٢ مكتبة تضم مجموعة كبيرة من الكتب الأوروبية ، وعدداً من الكتب العربية والتركية المطبوعة في الأستانة .

وقد كان محمد على يرى أن هذه الكتب وجدت في هذه المكتبات ، للترجمة منها والانتفاع بها ، لا لحبسها وعدم الانتفاع بها ، ، فقد صدر أمر منه إلى وكيل الجهادية في ١٦ ربيع الثاني سنة ١٢٥١ (١٠ أغسطس سنة ١٨٣٥) يذكر فيه أنه ، اطلع على المضبطة الصادرة في ٦ الجماري سنة تاريخه الشاملة لاستحسان تسليم زمام مكتبة القصر العيني إلى يحيى أفندى الموجود بمدرسة الترجمة المستجدة بالأزبكية عوضاً عن الشيخ رفاعه المحال عليه عفاضة تلك المكتبة ، ، وحيث أن الغرض من استحضر الكتب هو تسليمها لأهلها ، وللترجمة منها ، والانتفاع بها ، وحال وجودها تحت يد يحيى أفندى المذكور يكون عبارة عن حبسها وعدم الانتفاع بها فيلزم نقلها إلى محل وجود الشيخ رفاعه وإبقاؤه بوظيفة محافظ لتلك الكتب كما كان ،^(٣) .

ونظرة واحدة إلى قائمة الكتب التي ترجمت في عصر محمد على تبين أن هذه الكتب كان يراعى في اختيارها أن تكون :

١ — لواحد من هيئات التدريس الأجنبية^(٤) بالمدارس المصرية .

(١) تلويح النيل ، ج ٢ ، ص ٥٤٦ .

(٢) Brocchi, Giornale delle osservazioni fatte nel viaggi in Egitto, etc. pp. 160-1. (٢)

(٣) تلويح النيل ، ج ٢ ، ص ٤٤٨ .

(٤) Bowring, Op. Cit. p 135. (٤)

٢ - أو لواحد من كبار المؤلفين في أوروبا في القرنين السابع عشر والثامن عشر .

يقول كلوت بك عند كلامه عن مدرسة الطب : « تقرر الرجوع إلى مصنفات الأساتذة : دكاوكيه ، ودروسيه ، ودالمان ، وماجاندى ، ودروش ، وسانسون ، وغيرهم من أساطين الطب الفرنسيين »^(١) . وقد ترجمت في عصر محمد على كتب كثيرة لأشهر مشاهير علماء أوروبا ومؤلفيها في الطب والهندسة والتاريخ والجغرافيا والسياسة والمنطق . إلخ ، نذكر منها على سبيل المثال :

١ - قواعد الأصول الطبية تأليف « فرانشسكوفا ، الأستاذ بجامعة بيزا ، طبع في بولاق سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦ - ١٨٢٧) .

٢ - « منتهى الأغراض في علم شفاء الأمراض ، تأليف : « دروسيه ، و « سانسون ، من أكبر أطباء فرنسا وقتذاك ، ترجمة يوحنا عنجورى ، وطبع في بولاق سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤ - ١٨٣٥) .

٣ - « ضياء التيرين في مداواة العينين ، تأليف الطبيب الانجليزى (لورانس) وترجمه إلى العربية أحد حسن الرشيدى ، وطبع في بولاق سنة ١٢٥٦ (١٨٤١ م) .

٤ - أصول الهندسة تأليف لوجاندر Legendre ترجمه إلى التركية محمد عصمت أفندى ، وطبع في بولاق سنة ١٢٥٥ (١٨٤٠) .

٥ - « قترينه » تاريخى ، تأليف « كاسترا Castera ، ترجمه إلى التركية جاكوفاكى أرجيروبولو المترجم بالديوان الخديوى ، وطبع في بولاق سنة ١٢٤٤ (١٨٢٩) .

٦ - « تاريخ نابليون ، وهو مذكراته التى كتبها بنفسه حين كان منفيا في « سانت هيلانة ، ترجم عن الفرنسية إلى التركية ، وطبع في بولاق سنة ١٢٤٧ (١٨٣٢) .

٧ - « تاريخ نابليون بوناپرت ، تأليف « دوق دى روفيجر Duc de Rovigo ، ترجمه إلى التركية « حسن أفندى ، الكاتب بديوان محمد على ، وطبع في مطبعة سراى الاسكندرية سنة ١٢٤٩ (١٨٣٤ م) .

٨ - « تاريخ دولة إيطاليا ، تأليف « بوتنا Botta ، ترجمة عن الفرنسية إلى التركية عبد الله أفندى عزيز الكاتب بديوان محمد على ، وطبع في مطبعة سراى الاسكندرية سنة ١٢٤٩ (١٨٣٤) .

٩ - « مطلع شمس السير في وقائع كرلوس الثانى عشر ، تأليف « فولتير Voltaire ، ترجمه عن الفرنسية إلى العربية محمد أفندى مصطفى البياع أحد خريجي مدرسة الألسن وطبع في بولاق سنة ١٢٥٧ هـ .

(١٨٤٢) - وهو تاريخ كرلوس الثانى عشر ملك أسوج (١٦٩٧ - ١٧١٨ م) .

١٠ - « الروض الأزهر في تاريخ بطرس الأكبر ، تأليف « فولتير Voltaire ، وتعريب أحمد عبيد الطبطاوى ، طبع في بولاق سنة ١٢٦١ (١٨٤٥) .

١١ - «أتخاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات في أوروبا» ، تأليف المؤرخ الانجليزي «روبرتسون Robertson» ، ترجمه عن الفرنسية إلى العربية خليفة أفندي محمود أحد خريجي مدرسة الآسن ، طبع في بولاق سنة ١٢٥٨ (١٨٤٢) ، وهو مقدمة لتاريخ شارلكان الآتي .

١٢ - «أتخاف ملوك الزمان بتاريخ الامبراطور شارلكان» ، تأليف «وليم روبرتسون» ، ترجمه عن الفرنسية إلى العربية خليفة محمود ، طبع في بولاق سنة ١٢٦٦ (١٨٥٠)

١٣ - «الدراسة الأولية في الجغرافية الطبيعية» ، تأليف «مسيوفيلكس لامروس» ، و ترجمه عن الفرنسية إلى العربية أحمد حسن الرشيدى ، وطبع في بولاق سنة ١٢٥٤ (١٨٣٩)

١٤ - «الجغرافية العمومية» ، تأليف «ملطبرون Malte Brun» ، ترجمه عن الفرنسية إلى العربية رفاعه الطمطارى ، طبع في بولاق حوالى سنة ١٢٥٠ و ١٢٦٢ (١٨٣٥ و ١٨٤٦)

١٥ - «تنوير المشرق بعلم المنطق» ، تأليف «دى مرسيه Dumarsais» ، ترجمه عن الفرنسية إلى العربية خليفة محمود ، وطبع في بولاق سنة ١٢٥٤ (١٨٣٩)

ولم يراع المترجمون في عصر محمد على أن يذكروا دائماً اسم المؤلف ، ولهذا ظهرت معظم الكتب وهى لاثمّل اسم مؤلفها ، بل كان يكتفى في الغالب أن يذكر أن الكتاب ترجم عن الفرنسية ^(١) ؛ كذلك أهملت في جميع الكتب المترجمة أسماء الكتب بلغاتها الأصلية ، ولم يثبت على أى كتاب عنوانه الاصلى لا بالحروف اللاتينية ، ولا بالحروف العربية ؛ بل لقد طغت على المحررين والمصححين والمترجمين تقاليد التأليف القديمة التى توجب أن تكون أسماء الكتب مسجوعة ، فاختيرت للكتب المترجمة عناوين مسجوعة ، إلا فى النادر ، وإلا أن يكون المترجم رسالة أو نبذة ؛ فإذا كان المترجم مصرى من أعضاء البعثات أو من خريجي مدرسة الآلسن اختار هو الاسم على هذا النحو ، أما إن كان المترجم من طائفة المترجمين السوريين الذى حملوا عبء هذا الواجب فى أوائل عهد محمد على خاصة ، فإنه كان يترك اختيار اسم الكتاب - بعد ترجمته - للشيخ الأزهرى المنتدب لتصحيحه وتحريره ؛ يقول الشيخ مصطفى حسن كساب محرر الكتب المترجمة بمدرسة الطب البيطرى فى مقدمة أحد الكتب المترجمة فى هذا العلم . . . وقد سميت هذا الكتاب روضة الأذكياء فى علم الفسيولوجيا ^(٢) ؛ ويقول نفس المحرر فى مقدمة

(١) أنظر مثلاً : « ثلاثه الفاخر فى غرب عوائد الأوائل والأواخر » ترجمة رفاعه بك ، بولاق سنة ١٢٤٩ ص ٣ ، ٧ ؛ ورسالة فى علم البيطرية ، ترجمة يوسف فرعون ، بولاق سنة ١٢٤٩ ؛ « والحقفة الفاخرة فى هيئة الأفضاء الظاهرة » لنفس الفرع ، بولاق سنة ١٢٥١ ؛ « ونحفة الفلم فى أمراض القدم » ترجمة عبد الفتاح ، بولاق سنة ١٢٥٢ ؛ « وتاريخ الفلاسفة اليونانيين » ترجمة السيد عبد الله أفندى ، بولاق سنة ١٢٥١ . الخ ... الخ .

(٢) أنظر هذا الكتاب ، ص ١ - ٢ وهو تأليف « لافارج » أحد مدرسى الطب ، وترجمة يوسف فرعون ، بولاق سنة ١٢٥٦ .

كتاب آخر من كتب الطب البيطرى : « نجاة — أى هذه الرسالة — بعون الله مرتبة المباني ، مهذبة المعاني ؛ وسميتها : بهجة السنية فى أعمار الحيوانات الأهلية . . » (١)

وقد كانت معظم الكتب التى ترجمت لفائدة التعليم بالمدارس الخصوصية وخاصة مدرسة الطب والهندسة ؛ من تأليف أساتذة هذه المدارس ، يقول الشيخ محمد عمر التونسى فى مقدمته لكتاب « الجواهر السنية فى الأعمال الكيماوية » ، أن الدكتور برون Dr Perron ألف هذا الكتاب حين كان مدرساً لمادة الكيمياء بمدرسة الطب بأبي زعبل ، وألقاه على التلاميذ أولاً بأول ؛ فاستفادت منه الثلاثة فى علم الكيمياء فوائد جمة ؛ ويقول الدكتور برون ، نفسه فى مقدمته لكتاب : « الأزهار البديعة فى علم الطبيعة » ، « وإنى لما استخدمت بمدرسة الطب البشرى معلماً للكيمياء . . . وقت بما وجب على فيها بما تقر به العين طلب منى أن أضمت لتعليم علم الكيمياء علم الطبيعة امتثلت للأمر ؛ واقتطعت من روضة كتب هذا الفن كل زهرة بديعة . . ولما كان هذا الكتاب أول مصنف ترجم من كتب الطبيعة وكائنات الجو بالديار المصرية ؛ والقصد أن تتناوله جميع المدارس وتلقاه بحسن طوية حذفت البراهين التى تؤدى بالأشكال والأرقام الرياضية لبسمل على تلامذة المدارس الدخول فى هذه القضايا العقلية » (٢) .

وقال الشيخ محمد المرأوى فى مقدمته لكتاب « المنحة فى سياسة حفظ الصحة » : « الخواجا برنار جمع هذا الكتاب من مجلدات كبار ؛ وترجمه من الفرنسية إلى العربى بالكتابة والمقال المترجم الحلبي جورجى فيدال ؛ وكنت مقيداً لتصليح ما ترجم ترجمة لفظية ؛ وتوقيعه مواقع عبارات عربية . حفظاً لمقابلة الكلام عند التعليم ؛ وتسيلاً لفهمه منهم وقت التفهيم . . » (٣) .

ويقول الشيخ مصطفى حسن كساب فى مقدمته لكتاب « منتهى البراح فى علم الجراح » : « إن علم الطب من أجل العلوم قدراً . . فلهذا اعتنى بتحصيله الأجله ؛ من علماء كل ملة ؛ ومن بذل جهده فى قراءته وأفرغ وسعه فى دراسته ؛ الطبيب الأريب . . من لاريب فى حذقه ولا لبس ؛ المعلم الحازق « برنس » الذى ألف هذا الكتاب ونمقه بأعذب خطب ؛ وقرأه على الطلبة قراءة جميلة ، وأوضح لهم مسائله الجليلة فى المدرسة البيطرية . . إلخ » (٤) .

كذلك كانت الكتب التى كتبها كبار المؤلفين الأوروبيين فى ذلك العصر ؛ وترجمت فى مدارس محمد على ، فانها كانت تترجم فى معظمها لتلقى دروساً على الطلاب ؛ فكتاب « الآلى البنية فى الهندسة الوصفية » ، لما أكل

(١) أنظر هذا الكتاب ، ص ٢ ، وهو من تأليف « جيرار » وترجمه محمد عبد الفتاح ، بولاق سنة ١٢٦٠ هـ .

(٢) أنظر هذا الكتاب ، ص ٤ — « وقد قام بترجمته « يوحنا عنعورى » ، وصححه الشيخ محمد المرأوى ، وطبع فى بولاق

(٣) أنظر ص ٢ — ٣ ، وهذا الكتاب من تأليف « برنار » وترجمه فيدال ، ونمجه محمد المرأوى ؛ طبع فى بولاق سنة ١٢٤٩

(٤) أنظر ص ٢ — ٣ وقد ترجم هذا الكتاب يوسف فرعون ، وطبع فى بولاق سنة ١٢٥٦ هـ .

تعليمه وتدريسه في مدرسة الهندسة النفيسة - المهندسخانة الخديوية - معدن التفاس الرياضية ، تدولت أيدى التصحيح ونقحته غاية التنقيح . . .^(١) ثم قدم للطبعة فطبع في بولاق سنة ١٢٦١ هـ .

ويقول أحمد فايد في مقدمة كتاب علم تحريك السوائل ، : « حيث كانت المعارف البشرية آخذة في التقدم على عمر الأزمان . . . وكان من ربح في هذه العلوم اللطيفة . . . المهندس يلانجييه فأنف في ذلك تأليفاً دل على غزارة عقله . . . وحيث كان فريد عصره ، ووحيد دهره جناب ، لاميير بك ، الجليل الشأن ، ناظر مدرستنا الآن ، يشتدق أخبار تلك اللطائف ، فحين عثر على تلك المؤلفات الغريبة ، ورأى ما فيها من الفوائد العجيبة بادر بحملها إلى الديار المصرية وأراد تدريسها بالمهندسخانة الخديوية ، وحيث كنت أنا معلم تلك العلوم فيها ، ولّى الوقوف على مبانيها ومفاتيحها ، تبعت هذا المؤلف في تدريسي وتقريري ، وجعلته إمامي وسميري ، ولما اطلعت على فرائده ، وتضلعت من فوائده ، لاح لي أن ترجم هذا الكتاب . . . فقضيت أغراضى وآمالى ، وترجمت مجلداته الأربع على التوالي . . . الخ ،

وقد كان للكثيرين من أساتذة مدارس محمد علي نشاط ملحوظ في التأليف فكانت كتبهم ، في معظمها هي محاضراتهم التي يلقونها على الطلاب تجمع وترجم ، ثم تحرر وتصحح وتطبع ، ومن ترجمت كتبهم من أساتذة مدرسة الطب مثلاً :

١ - « الدكتور برنار ، معلم قسم حفظ الصحة ، ألف كتاب « قانون الصحة » ، وترجمه إلى العربية ، جورجي فيدال ، وطبع في بولاق سنة ١٢٤٨ هـ .

« كتاب المنحة ، في سياسة حفظ الصحة ، ترجمه جورج فيدال ، وطبع في بولاق سنة ١٢٤٩ هـ .

٢ - « الدكتور سوسون ، معلم الفسيولوجيا ، ألف كتاب « إسعاف المرضى من علم منافع الأعضاء » ترجمه إلى العربية على أفندي هيبه ، وطبع في بولاق سنة ١٢٥٢ هـ .

٣ - « الدكتور لافارج ، ألف كتاب « نزهة الأنام في التشريح العام » ، وترجمه يوسف فرعون ، وطبع في بولاق سنة ١٢٥٥ هـ (١٨٤٠)

« كتاب (روضة الأذكياء في علم الفسيولوجيا) وترجمه أيضاً يوسف فرعون ، وطبع في بولاق سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤١)

٤ - « (الدكتور فيجري) ألف كتاب (الدرر التامع في النبات وما فيه من الخواص والمنافع) ترجمه السيد حسين غانم الرشيدى ، وطبع في بولاق سنة ١٢٥٧ هـ .

غير أن اثنين من هيئة التدريس في تلك المدارس كانا أوفر نشاطاً من جميع زملائهما ، وأكثر إنتاجاً هما : الدكتور كلوت بك ، والدكتور برون ؛ وكلاهما تولى نظارة مدرسة الطب المصرية في عصر محمد علي .

١ - الدكتور كلوت بك :

التحق الدكتور كلوت بك بخدمة محمد علي في سنة ١٨٢٥ ، فقد رأى عاهل مصر — بعد تكوين جيشه الجديد — أنه في حاجة ماسة إلى أطباء أوروبيين للإشراف على صحة ضباطه وجنوده ، فكلف التاجر الفرنسي د تournéau ، أن يرحل في سنة ١٨٢٥ إلى فرنسا لكي يتعاقد مع أحد الأطباء الفرنسيين ، وسافر د تournéau ، وواصل بأحد أطباء مرسيليا ، وهو الدكتور انطوان برتلي كلوت Antoine Barthélemy Clot ، وكتب معه شروطا تقضى بحريته في العمل ، وأن يتبع ديابته المسيحية ، وعدم إجباره مع السير مع الجيش . إلخ .^(١) وحضر د كلوت ، إلى مصر في نفس السنة (١٨٢٥ — ١٢٤١) وعين د جراح باشي ، الجيش المصري .

غير أنه لم يلبث أن أخلص لعمله الجديد ، ووجه كل وقته وتفكيره فأشأ المستشفيات العسكرية ، ومصلحة الصحة البحرية ، وفي سنة ١٢٤٢ (١٨٢٧) أنشأت مدرسة الطب المصرية تنفيذاً لرغبته ، وجعل مقرها في أبي زعبل لتكون قريبة من معسكرات الجند .

وتغير الدكتور د كلوت ، نخبه من أطباء أوروبا وعلماؤها الممتازين ليكونوا أساتذة المدرسة الجديدة ، غير أن الطريق لم يكن ميسراً . فبدأ ألامه كما سبق أن ذكرنا فقد اعترضته صعوبات . جمه كان أهمها جهل الأساتذة باللغة العربية ، وجعل التلاميذ باللغات الأجنبية عامة ، ولكنه بذل جهوداً جبارة للتغلب على هذه العقبة . بدأت بأن يترجم المترجمون عن الأساتذة ما يقولون ، وانتهت بترجمة الدروس التي تلقى والمراجع الطبية المختلفة وطبعها في مطبعة بولاق ثم توزعها على تلاميذ المدرسة .

وقد شارك د كلوت ، مشاركة فعالة قوية في حركة التأليف والترجمة التي قامت بها مدرسة الطب ، وكان أكبر عدد من الكتب الطبية التي ترجمت في عصر محمد علي من وضعه وتأليفه . وهذه هي :

١ - « العجالة الطبية فيما لا بد منه لحكام الجهادية ، ترجمة أوغسطين سكاكيني ، وطبع في مطبعة

مدرسة الطب بأبي زعبل في ٢٣ صفر سنة ١٢٤٨ (٢٢ يوليو سنة ١٨٣٢)

٢ - رسالة في اللطاعون ؟ بولاق ١٢٥٠ (١٨٣٤)

٣ - رساله في علاج اللطاعون ؟ مطبعة الجهادية ١٢٥٠ (١٨٣٤)

٤ - رسالة فيها يحجب اتخاذها لمنع الجرب { والداء الافرنجي عن عساكر الجهادية ونسائهم ؟ مطبعة ديوان الجهادية ١٢٥١ (١٨٣٥)

(١) تاريخ كلوت بك ، ترجمة محمد ليب البانوني ، ص ١٠ ، وعن ترجمة حيلنه بالناسيل انظره : المرجع السابق ص ٦ - ٤٦٥ .

كلوت بك ، لجة عامة إلى مصر ، ج ٢ ، ص ٢٩٣ وما بعدها ، وعزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٥٢ ، ٥٣ ، ٩٠ ،

١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، إلخ . إلخ .

- ٥ — مبلغ البراح في علم الجراح ترجمة يوحنا عنحورى بولاق ١٢٥١ (١٨٣٥)
 ٦ — نبذة في تطعيم الجدري . د أحمد حسن الرشيدى د ١٢٥٢ (١٨٣٦)
 ٧ — نبذة في الفلسفة الطبيعية
 ٨ — نبذة في التشريح العام الدكتور ابراهيم النبراوى د ١٢٥٣ (١٨٣٧)
 ٩ — نبذة في التشريح المرضى
 ١٠ — رسالة في مرض الحمى ؟
 ١١ — كنوز الصحة ويواقيت المنحة ترجمة الدكتور محمد الشافعى د ١٢٦٠ (١٨٤٤)
 ١٢ — الدرر الغوال في معالجة أمراض الأطفال د ١٢٦٠ (١٨٤٤)

وهذه إما كتب ترجمت لتدرس في مدرسة الطب ، كبلفج البراح في علم الجراح ، و العجالة الطبية فيما لا بد منه لحكام الجهادية ،^(١) والنبذ الثلاث في الفلسفة الطبيعية والتشريح العام والتشريح الطبى ، وقد طبعت هذه النبذة جميعاً في كتيب واحد يقع في ٧٦ صفحة وليس في أوله أى مقدمة أو تقرير كما جرت العادة في الكتب المترجمة في ذلك العصر ، إنما جاء في الصفحة الأخيرة ما يلى : « هذا آخر ما جمعة من اللواكوت بك في هذا المختصر من نبذة في الفلسفة الطبيعية ونبذة في التشريح المرضى لتعليم تلامذة الطب ، وقد ترجمه عن الفرنسية إلى العربية ابراهيم أفندى النبراوى حكيم أول ابن عرب (يقصد مصرى) بأملاته للشيخ محمد محرم أحد المصححين قبل الطبع ، ومعه على يد مغفور المساوى محمد الهراوى »^(٢) .

وإما رسائل وضعها كلوت بك لخدمة الحالة الصحية في مصر إثر انتشار الأمراض والأوبئة بها ، كرسائله عن الطاعون ، ورسائله عن علاج الطاعون فانهما صدرتا سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) وهى السنة التى انتشر فيها مرض الطاعون^(٣) في مصر انتشاراً مخيفاً ، فبذل كلوت بك جهداً كبيراً لمحاربة هذا المرض والقضاء عليه ، فقدر له محمد على هذه الجهود خير تقدير ، وأنعم عليه بهذه المناسبة بترتبة « أمير لواء » ، ورسائله « في علاج الطاعون » تقع في عشر صفحات ، وطبعت بمطبعة ديوان الجهادية في آخر ذى الحجة سنة ١٢٥٠ هـ (٢٨ ايريل سنة ١٨٣٥) ، وقد اطلع عليها « أرباب المشورة الطبية » ، وأقروها قبل طبعتها ؛ وجاء في مقدمتها « حمداً لله وقاية من الأسواء .. هذا تبيين فيها يختص بالطاعون ، وذلك قبل أخذه في الظهور ، يبين الأطباء

(١) ويقع هذا الكتاب في ٣٥١ صفحة ، وليس به أى تقرير ، وقد أهدى النجم — سكاكى — « بهبه للشيخ احمد الرشيدى والبعض الآخر للشيخ محمد الهراوى من محررى الكتب المترجمة بمدرسة الطب .

(٢) ص ٧٦ ، وقد تم طبع هذا الكتاب في ٧ رجب سنة ١٢٥٠ (٩ نوفمبر سنة ١٨٣٤ م) .

(٣) عن أخبار الطاعون وانتشاره في المدن المصرية وخاصة دباط انظر : 1 : Caltaui. Le Règne de Med Ali, etc ,

ورؤساء المارستانات طريقة ترشدكم إلى الاحتراسات اللازمة للتوقي من هذا المرض ، وسعيه ، وانتشاره .
وبذكر لهم العلامات الدالة عليه ثم الوسائط التي يمكن بها مقاومته ،^(١) وهذا التنبيه يحتوى على مقدمة
وثلاثة مقاصد : المقدمة في قوانين الكورتينا ، والمقصد الأول في تدابير المرض الصحية ، والثاني في
علاماته ، والثالث في معالجته .

كذلك بذل كلوت بك جهدا عظيما لمحاربة مرض الجدري الذي كان يقضى في مصر على حياة نحو
ستين ألفا من الأطفال كل عام ؛ فأشار على الحكومة باستعمال التطعيم ضد هذا المرض ، ووضح أن
رسائله عن تطعيم الجدري التي ترجمها أحمد حسن الرشيدى كتبت وترجمت لتحقيق هذا الغرض ؛ أما رسالته
فيما يجب اتخاذها لمنع الجرب والداء الافرنجى عن عساكر الجهادية ونسائهم ، فظاهر أنه ألفها بحكم مركزه
كدير للإدارة الصحية للجيش المصرى ، وكبير أطبائه ، أو كما كان يسمى في كتب ذلك العصر ، كشاف
عموم الصحة بالديار المصرية ،^(٢) .

وقد صدرت هذه الرسالة عن « مشورة الصحة » ، إلى « حكام الجهادية » ، وهي « صورة ترتيب وضعه
كلوت بك باش حكام الجهادية في الوسائط التي يستعملها الحكام أولاد العرب لمنع الدائين المذكورين من
عساكر الجهادية ونسائهم » ؛ وجاء في أولها : « قد بلغ أهل مشورة الصحة أن كثيرا من العساكر إذ لم
يبادروا بإيقافهما (أى المرضين) بالوسائط القوية لمنعهما عن التقدم والانتشار فاقضى رأى أرباب
المشورة المذكورة أن يأمروك [والكلام هنا موجه لكل طبيب من أطباء الجهادية] بهذه الأوامر
وهذه الرسالة تقع في ثمانى صفحات وطبعت بخط دقيق في حجم صغير ليكن حملها في الجيب والرجوع
إلى ما فيها من تعليمات .

أما رسالته « في مرض الحمى » فهي صغيرة الحجم أيضا ، وتقع في ١٣ صفحة ، وقد وجهها كلوت بك

(١) أنظر مقدمة الرسالة ، وانظر أيضا : اسكاروس ، « شيء من التاريخ والأدب في بدء النهضة الطبية المصرية » ، البلاغ
الأسبوعى ، عدد ٩٨ ، ص ٢١ ، وقد جاء في هذه المقالة أن كلوت بك له كتابان آخران عن الطاعون ٢ :

١ — تعليمات خاصة بالطاعون ترجمه محمد الشافى . Instructions sur la Peste, traduit par Chafey.

٢ — في الطاعون ، ترجمه — الشافى . De la Peste, traduit par Chafey.
ولكلوت بك كتاب كبير شامل باللغة الفرنسية عن هذا الطاعون ، وعن تجاربه في مصر أثناء مكافحة هذا المرض ، طبع في
باريس سنة ١٨٤٠ في ٤٤٠ صفحة ، ولم يترجم إلى اللغة العربية ، وعنوانه بالفرنسية .

De la Peste Observée en Egypte, Recherches et Considerations sur cette maladie.

وتد ذكر في هذا الكتاب أسماء جميع الأساتذة الأجانب بمدرسة الطب المصرية ، وجميع الأطباء الملقين بالجيش المصرى والبحرية
المصرية الذين اشتركوا في كفاح هذا المرض ، وعرض آرائهم وأبحاثهم الخاصة بهذا المرض عرضا مرصا .

(٢) « صدر بيرولى في ٩ شوال سنة ١٢٤٩ (١٩ فبراير سنة ١٨٣٤) إلى كلوت بك بتدبيره مقفا لعموم الصحة بديوان
البحرية والجهادية ، وعضوا بمجلس شورى الأطباء ، وانظروا المدرسة للطب البشرى والبيطرى مع مباشرة ورؤية أعمال المسكاه
والأجراجية ، وأكد عليه برؤية تلك المصالح المحالة لمهنته كما يجب كما هو مأموله في صدافته المملومة لديه » ، نفوس النبيل ، ج ٢ ، ص ١٨ ، ٤ .

« إلى جميع ضابط الصحة أولاد العرب [يقصد المصريين] المقيمين في مصر ، وفي غيرها من المقري ،
والأوردى المحصور ، ؛ وقد تكلم فيها عن أسباب الحمى وأعراضها ، ومدتها ، والحمايات المتضمنة ، وطرق
معالجتها ، وتدبير النقه ، ووسائل التحرز من الحمى . . الخ ، وما جاء فيها :

« وهذه الحمى تسلسن أيضاً في إقليم مصر كثيراً والشام وتكون في البلاد القريبة للبحر كبلاد البحيرة
ودمياط ، ورشيد ، وخصوصاً البلاد التي على شواطئ البحيرات كالبرلس والمنزلة ؛ وزيادة تسلسها يكون
بعد فيضان النيل لوجود المياه الراكدة المتخلفة من النيل في البرك ، وتنتشر كثيراً في هذا الإقليم إذا كان
النيل زائداً لكثرة ما يوجد في الأماكن من الرسوب الذي يتخلف من الماء ، ومعالجة هذا المرض في
الإقليم المصري لا يختلف عن معالجة هذا المرض في الشام ، وقد ذكرناها لكم فلا يلزم إعادتها والله الشافي . .
وجاء في ختام الرسالة هذا التنبيه . « فليكن أيها التلامذة العزاز أن تهتموا في مثل هذه العوارض ،
وتبذلوا جهدكم في التمسك بما ذكرناه لكم من المعالجة الشافية والاحتراسات الصحية كي تصونوا أنفسكم ،
والعساكر التي أنتم موكلون بحفظ صحتها (كذا) عن بوائق (كذا) الأمراض ، والتوسيع في الأعراض ،
وهناك كتابان أخيران من كتب «كلوت بك» يستحقان الالتفات والعناية والدراسة الخاصة هما :
« كنوز الصحة وبوائق المنحة ، و « الدرر الغوال في معالجة أمراض الأطفال . . »

أما الكتاب الأول فقد ألف وترجم لغرض نبيل هو تعليم الشعب المبادئ والتعاليم الصحية ونشرها
بين أفرادها بأسلوب سهل قريب إلى فهم العامة ؛ وقد وضع هذا الكتاب وترجم لتحقيق هذا الغرض
بإشارة ولي الأمر والنعم محمد علي باشا فهو في الواقع نغمة من نفحات تفكيره الفذ وحسن رعايته لشعبه
وحبه لخدمته ؛ جاء في مقدمة هذا الكتاب لكلوت بك « اعلم أن الطب قد فقد من الديار المصرية بعد
وجوده ، وادعى معرفته أناس به جاهلون فظلموا في طغيانهم يعمهون فكأنهم أمة من أمة صهيون ؟ وأمانوا عليلاً
ومكثوا على ذلك زمناً طويلاً ، حتى أراد الله إحياء عظمه الربم ، وانتشار فضله العظيم ، بولاية صاحب
السعادات ، . . أفندي الحاج محمد علي أدام الله أمثاله . فأنشأ في مصر جملة مدارس ، وأحى من العلم كل
رسم دارس ، وكان من أعظمها مدرسة الطب الإنساني التي أسسها حين تشرفت بخدمته ، وعلمت فيها
جملة أطباء لخدمة عساكره ، وأرباب دولته ، وألف معلوماً في الطب وفنونه كتباً جليلة ، وانتفع بها
مطالعوها انتفاعات جليلة ؛ ولكن حيث أن مسائلها العلمية عثرة المنال على غير الأطباء ، لا يفهمها إلا
المهرة الألبا ، جمعت هذا الكتاب من مشاهير الكتب الطبية ، وتساهلت في ألفاظه ما أمكن ليستفيد منه
أهل اللغة العامية ، وطالما كان كلام صاحب السعادة يوصى إلى ذلك ويشير ، ويرمز بظرف خفي فهمه

عسير ، فلما تكررت منه ذلك فهمت الإشارة ، وبأدبرت بتحريره . . الخ ،^(١)

وجاء في مقدمة هذا الكتاب أيضاً لمحرر الكتاب ومصححه الشيخ محمد عمر التونسى ما يلى :

... وبعد فيقول راجى رحمة المنان ، محمد التونسى بن سليمان ، محرر كتب الطب البشرى الآن :
 لما كانت صحة الأبدان ، من أجل ما أنعم به الجواد على العباد ، وبدونها تتمطل الأسباب ، وعبادة العباد
 ويبقى الجسم عليلاً نحيلاً ، ويحق لفاقدها أن يكثر بكاء وعويلاً ، إذ لولاها لما اصطدمت الجحافل^(١) ،
 ولا قرئت العلوم فى المحافل ، كان الواجب مراعاتها بقدر الإمكان . . . ومرام صاحب السعادة أن يكونوا
 (أى المصريون) بصحتهم متمتعين ، ولجلباب العافية لابسين ، فلذا أحى الطب بعد اندراسه ، واضمحلال
 أهله وناسه بجلب كل طبيب نطاسى وحاذق فى الطب آمى ، وكان أجل من حضر لخدمة سدته الشريفة ،
 وأربكته المشقة ، أبقرط زمانه ، وأفلاطون أقرانه ، أهر من قال أنا طبيب ، من يكاد الداء إذا رآه
 بدون معالجة يطيب ، حضرة رئيس الأطباء وكشاف عموم الصحة البرية والبحرية أمير اللواء كلوت بك ،
 فبذل المجهود فى خدمة سعادته بتعليم التلامذة ومداواة المرضى وعمارة المارستان . . . وألف هذا الكتاب
 لخدمة لصاحب السعادة ، والعزة والسيادة ، وجعله هدية للعوام ومتحة ، لأنه جامع لما يحتاج إليه من
 الوسائل لحفظ الصحة . . . ولما برز للعيان وسله أمير اللواء المذكور إلى حضرة الأسمى اللوذعى الحاذق
 النجيب . والماهر الحكيم الكياوى الطبيب ، العارف بكثير من اللغات ، المنتخب لأكثر ألفاظ الطب
 من كلام الثقات ، ناظر مدرسة الطب الإنسانى ، الذى لا يوجد فى مصر ناله ثاقى ، العلم بيرون ، تمكنت
 من العربية والفنون الأدبية ، وأمره بهذيبه وتنقيحه ، كما أمرنى بمقابلته معه وتصحيحه ، وأن اجتنب فيه
 التعمق فى الألفاظ اللغوية ، ولا أذكر فيه إلا ما اشتهر من الألفاظ وإن كانت عامة ليعم نفعه العالم

والجاهل ، والمفضل والفاضل . . . الخ ،^(٢)

والكتاب يقع فى نحو ٤٠٠ صفحة ، وذكر فى أوله فصل موجز فى ١٦ صفحة عن المارستانات فى
 مصر فى العصر الإسلامى منقول عن خطط المقرئى ، كما استغرق فهرس الكتاب ٢٨ صفحة أخرى
 وقد طبع من هذا الكتاب ١٠٠٠ نسخة فى الطبعة الأولى ، ويبدو أن الإقبال كان عليها شديداً ،
 وأنها نفذت فى مدى خمس سنوات فقد طبع هذا الكتاب مرة ثانية فى يولاق سنة ١٢٦٥ هـ ، وهى ثاقى
 سنة تولى فيها عباس الأول حكم مصر ؛ ثم طبعت منه خمسمائة نسخة طبعة ثالثة فى يولاق سنة ١٢٧١ هـ فى
 عهد سعيد باشا ؛ وجاء فى مقدمة هذه الطبعة بما يدل على رواج هذا الكتاب ، وكثرة إقبال الناس على
 شرائه واقتنائه ما يلى : . . . وهذا ولما تم طبع هذا الكتاب ، وظهر للناظرين ما فيه من الصواب وأنه سهل

(١) لاحظ هذا فهو يؤكد الفرض الأول من إنشاء المدارس ووضع الكتب وترجيها فى ذلك العصر .

(٢) أنظر هذا الكتاب ، ص ٢ - ١٠

المأخذ للفوائد الطبية ، عرى عن التعمية الصناعية ، موشح بالأحاديث النبوية ، متوج بالآيات القرآنية ، تنافس الناس في اقتنائه ، ورغب العقلاء في اشترائه ، فدوا إليه أعناق الانتهاب ، وجعلوا قنيتة من أقوى الأسباب ، وجاموه من الشرق والغرب ، وضربوا في الأرض بسببه أى ضرب ؛ فكأن ما حواه هو العجب ، وكأن أساليبه لبس لها ضريب في الضرب ، فتعق على صرح نسجه غراب البين فبذل الراغبون فيه العين ، حتى صار أثراً بعد عين ؛ ثم كثر السؤال عليه ، وطلبوه من كل أوب وجاموا إليه ، فأكثرهم أخفق مسعاه . ورجع بخن حنين إلى مأواه ، وبعضهم ظفر ببعض نسخ أخرجها الإفلاس ، فاشتروا بضعف ما كانت تأخذ به الناس ؛ ثم فقد شخصه وتعذر إليه الوصول ، حتى كأنه العنقاء أو الغول ومكث الأمر على ذلك مدة من السنين ، ولم تزل الناس على طلبه ملحين ، فصدر الأمر بأن يطبع منه خمسين . . . (١)

ثم طبع طبعة رابعة في عصر استماعيل في بولاق سنة ١٢٩٦ ، وقال مصححه محمد بن قاسم في مقدمة هذه الطبعة : « وبعد ، تم بعون سيد كل منحة ، طبع هذا الكتاب الموسوم بكنوز الصحة . . . بعد ما طبع مرات كثيرة ، لمنافعه لجنة العامرة الغزيرة . . . الخ » (١) ، ويدل على إنتشار هذا الكتاب بين عامة القراء من الناطقين بالضاد في مصر وخارج مصر أنه طبع طبعات أهلية مختلفة ، فطبع في مطبعة شرف سنة ١٣٠٢ وفي مطبعة عثمان عبد الرازق سنة ١٣٠٤ وذلك في عهد الخديو توفيق باشا ، وفي المطبعة البنية سنة ١٣٢١ في عهد الخديو عباس حلى الثاني ؛ أى أنه ظل يتداول بين أيدي المصريين وينتفع به القراء من العامة ثلاثة أرباع القرن .

وأما الكتاب الثاني وهو الدرر الغوالي في معالجة أمراض الأطفال ، فقد ألف وترجم أيضاً تنفيذاً لرغبة محمد على النبيلة ، فإنه كما قال « كلوت بك » في مقدمته للكتاب : « لما كان ولي النعم مهتماً بعلاج الرعايا راغباً في كثرة سوادهم وسلامتهم من الأمراض والبلايا ، وتحقيق لدى سعادته أن الأطفال في الديار المصرية معرضون لجملة أمراض ، ويهلك بها أكثرهم حينما تشد به الأعراض ، وذلك من أقوى عدم كثرة السواد ، وخلاف ما هو واقع في غيرها من البلاد ؛ نعم وإن كان نفس الاقليم لا يناسب سن الطفولة لكن عدم اعتقاد الأهالي في الطب هو أكبر بليه ، ولا سيما والأمهات والمراضع لا يراعين نظافة الأطفال ولا يلتفتن لما يليق من العلاج وإن ساء الحال ، أمرني أيده الله أن أجمع كتاباً مختصراً فيما ينفع الأطفال المذكورة ، فجمعت هذا الكتاب امتثالاً لأوامر الناقد المصنوعة ، ورتبته على ثلاثة أقسام : الأول في قانون صحة الأطفال ، أعني ما ينبغي أن يفعل ليدرك عنهم الأمراض الثقيل ؛ والثاني في أمراضها وعلاجها ؛

(١) انظر مقدمة الطبعة الثالثة ، بولاق سنة ١٢٧١ ؛ واسكارس ، نبي . من الأدب والتاريخ . . الخ . البلاغ الأسبوعي ١ العدد ١٠٠ ص ٢٢ .

والثالث في تراكيب الأدوية التي يجب استعمالها ؛ ولم أضع فيه إلا ما انتخبته من أحسن الكتب المؤلفة أو ما تحققت نفعه بالتجربة والمنفعة . . الخ ،

وقال أيضاً الشيخ محمد عمر التونسي محرر هذا الكتاب ومصححه : « لما كان العلم أفضل مقتنى ، وأعظم شئ به اللبيب اعتنى ، وكان الواجب على العاقل التحلى بلطائفه ليخرج بها من الظلمات إلى النور . . . وكان من أهمه بعد معرفه ما يجب به الإيمان علم الطب الذى استنار بدره في هذا الزمان بمراحم صاحب السعادة الداورية ، والسيادة الخديوية صاحب المهم السنية ، افتدينا الحاج محمد على فأجي الفضائل بعد اندراس رسمها ، وكان أجل أطباء حضرته ، ومفتش عموم صحة أرباب دولته ، وأهل إبالته ، وخادم أريكته الشريفة وحضرته ، أمير اللوا كوت بك ، فألف خدمة لسعادته جملة تأليف وضع فيها كل قول مشهور لطيف ، لكن لما كان اليك المذكور يعلم شذقة سعادته على رعاياه ، وأن نجاتهم من الأمراض غاية ما يتمناه ، ألف مختصراً جليلاً ، فائقاً جليلاً فيما يصلح للأهالى ، لينفع به المقدم والتالى وسماه « كنوز الصحة » ، وبواقبت المنحة ، وعرضه على أعتابه السكرية ، وذاته الشفوقة الرحيمة ، فوقع من سعادته موقع القبول وبانغ اليك المذكور ، من رضاه القصد والمأمول .

لكن لما كانت مصر مدينة وخيمة ، وأن ما يولد بها من الأطفال يصاب بأمراض ذميمة ، أمره أيدته الله أن ينتخب مختصراً يجمع فيه ما يصلح للأطفال من العلاج ، وما يذهب عنهم السقم الذى طغى عليهم وهاج ، الكمال شفقته على الصغير والكبير ، فشر كات بك المذكور عن ساعديه ، وجمع هذا المختصر روشحه بجميع ما يحتاج فى مرض الأطفال إليه ، وسلمه للشاب الأجد الحكيم الأول ، محمد شافعى افندى ، فترجمه من اللغة الفرنساوية إلى العربية ، واجتهد فى الوقوع على المعنى فلم يخطئ سهمه الرمية ، فجاء كتاباً صغير الحجم كبير العلم ، وسميته « الدرر الغوال فى معالجة أمراض الأطفال . . الخ » (١) .

وقد طبع هذا الكتاب فى بولاق فى ربيع الثانى سنة ١٢٦٠ فى ١٣٢ صفحة من القطلع الصغير وإتماماً للفائدة رأى محمد على أن يترجم هذان الكتابان إلى اللغة التركية فترجمهما عن اللغة العربية مصطفى افندى التركى ، وطبع الأول فى بولاق سنة ١٢٦١ تحت عنوان « ترجمة كنوز الصحة » ، وطبع الثانى فى نفس المطبعة سنة ١٢٦٠ تحت عنوان « ترجمة تربية الأطفال » (٢) .

(١) انظر خاتمة الكتاب ص ١٣١ - ١٣٢ .

(٢) انظر فهرس الكتب التركية الموجودة بدار الكتب المصرية .

٢ — الدكتور « برون » Dr Perron

تخبر الدكتور كلوت كما ذكرنا نخبه من أطباء أوربا وعلماها الممتازين ايكو نوا أسانذة بالمدرسة الطبية الجديدة ، وكان من بينهم ، الأستاذ برون السكياوى المعروف من مدرسة باريس ، ^(١) لتدريس مادتي الكيمياء والطبيعة .

وكانت الصعوبة الكبرى التي اعترضت سبيل كلوت كما سبق أن ذكرنا هي جهل الأسانذة باللغة العربية و جهل التلاميذ باللغات الأوروبية عامة ؛ وقد عرفنا كيف تغلب على هذه الصعوبة باستخدام مترجمين للنقل عن الأسانذة وترجمة الكتب .

غير أن أستاذاً واحداً استطاع — كما يبدو — أن يذل هذه العقبة وحده ، فاستعان ببعض الألفاظ العربية — ولا شك — عند شرح دروسه ، ثم استعان أول الأمر بأحد مترجمي المدرسة من البورين — وهو يوحنا عنجورى — ليرجم له محاضراته في علم الطبيعة بعد سنوات قضائها في الدرس والبحث والاتصال ببعض المحررين والمصححين من شيوخ الأزهر ، والتلذذ عليهم استطاع أن يترجم بنفسه محاضراته في الكيمياء .

ذلك الأستاذ المستشرق هو الطبيب السكياوى الدكتور « برون » ، وهو الوحيد من بين جميع الأسانذة الأجانب في مدارس محمد علي المختلفة الذي كان يعرف اللغة العربية ويعنى بالبحث في كتبها ، والترجمة عنها وإليها .

كان برون ، عالماً بجاذبة بكل ما تحمل هاتان الكلمتان من معنى ، فلم يكف بعمله التعليمي الوطني ليشمض عليه عن الحياة التي تحيط به ، وهي حياة جديدة في بلد غريب ، وبين أناس يختلفون عن عشيرته من الفرنسيين الاختلاف كله في الدين والأخلاق والعادات والملابس والثقافة ... إلخ ... إلخ ؛ ولكنه وهب وقته كله للبحث العلمى ولذويع خاص من البحث العلمى هو الحياة الثقافية قديماً وحديثاً في الشرق عامة وفي مصر خاصة ، فشارك في حركة الترجمة والنشر التي نشطت وقتذاك في مصر ، وكانت له جهود جليلة في الترجمة عن العربية إلى الفرنسية ، وعن الفرنسية إلى العربية ، وكانت له نظرات نافذة نافذة — رغم مرارتها — إلى صميم الحياتين الثقافية والسياسية في مصر حينذاك ؛ ولهذه النظرات قيمة عظيمة جداً لأنها صادرة عن أجنبي يدرك الغيب الذي لا يدركه صاحب البيت ، وعن عالم يستطيع التحليل والمقارنة ، ويحيد الشرح والوصف ، وإدراك الأسباب والمسببات .

وقد سجل « برون » هذه الملاحظات في خطباته التي كان يرسلها أثناء مقامه في مصر إلى صديقه المستشرق الشهير Jules Mohl ناموس الجمعية الآسيوية وعضو المجمع الفرنسى L'Institut de France في باريس ؛ وقد نشر J. Mohl هذه الخطابات في الجريدة الآسيوية Journal Asiatique وبنى البعض الآخر دون أن ينشر حتى انتقل إلى ابن أخيه « مسير أ . دي مول O. de Mohl بصفته الوريث لعمه .

(١) كلوت بك ، لحة عامة الى مصر ، ج ٢ ، ص ٦٢٨ .

وفي سنة ١٩٠٨ ، كان أ. دى مول وزيراً مفوضاً ووكيلاً لألمانيا في صندوق الدين العام بالقاهرة ، فعثر بين أوراق عمه على أربع عشرة رسالة بخط الدكتور « برون » ، مرسله من مصر إلى « جول مول » في باريس ، فقدمها لصديقه المرحوم يعقوب أرئين باشا وكيل وزارة المعارف وقتذاك ، وعضو الجمع المصرى l'Institut Egyptien ، عليه يحد بها ما بهم مصر أو الجمع المصرى ، وذلك قبل إرسائها إلى باريس لنضم إلى أوراق جول مول المحفوظة بالجمع الفرنسى .

وقد نشر أرئين باشا هذه الخطابات ، ومعها مقدمة تحليلية سنة ١٩١١ تحت هذا العنوان :

Yacoub Artin Pacha. Lettres du Dr. Perron, du Caire et d' Alexandrie, à M. Jules Mohl, à Paris (1838—1854) Le Caire, 1911.

وفي هذه الخطابات صور من نشاط « برون » العلنى فى الترجمة والنشر .

ودكتور « برون » ، فرنسى الأصل ، ولانعرف شيئاً كثيراً عن حياته الأولى فى فرنسا قبل أن يحضر إلى مصر ، غير أنه يبدو أنه عنى وهو فى باريس — إلى جانب دراساته الطبية العلمية — بدراسة اللغة العربية ، وتتلذذ إذ ذاك على كبير مستشرقى فرنسا « ملفستر دى سامى A. Silvestre de Sacy » ، كما تتلذذ على المستشرقين « جان جاك كوزين دى برسيغال » ، « الأب » ، و « ارمان كوزين دى برسيغال » ، الابن^(١) .

ولسنا نعرف بالتحديد تاريخ مقدمه إلى مصر ، وإن كان « كلوت بك » ، يذكره ضمن الأسانذة الأولى للمدرسة الطب المصرية بأبى زعبل ، فإذا صح أنه بدأ عمله بهذه المدرسة وقت إنشائها ، فإنه يكون قد حضر إلى مصر سنة ١٨٢٧ (١٢٤٢ — ١٢٤٣) أو قبلها بقليل .

وظل « برون » ، يدرس مبادئ الطبيعة والكيمياء فى مدرسة الطب حتى بعد نقلها إلى قصر العينى ، ويبدو من رسائله إلى صديقه « مول » ، أنه كان فقيراً رقيق الحال ، فقد كتب إليه فى خطابه المرسى من الإسكندرية بتاريخ ١٠ أغسطس سنة ١٨٣٦ يقول : « أشر على بما ترى أنه خير وأفضل لى أن أعمله لآتى فقير لا أملك إلا مِدادى . . . »^(٢) ، وقال فى خطاب آخر أرسله لصديقه من القاهرة فى ١٨ سبتمبر سنة ١٨٣٩ : « وأما أنا فقد عُمِد إلى بإدارة مدرسة الطب . . . وهذا المنصب الجديد قد عاد على بشىء

(١) ذكر « برون » مرة فى أحد خطاباته لصديقه « مول » أنه سيكتب قريباً لمسيو كوسان ، وطلب من صديقه أن يبلّغه أنه يجعل التحليل (٢) الذى طلب منه ، وأنه يشرفه جداً أن يتمتع بصداقة عالم كبير كسيو كوزان ، وفى خطاب آخر يطلب من صديقه أن يبلّغه خطاباً أرسله لأستاذه العزيز « كوزان دى برسيغال » « l'autre est une seconde lettre que j'adresse à mon cher professeur monsieur caussin de preceval . . . » : Y. Artin. Lettres du Dr. Perron, pp. 51, 52.

ومن الواضح أن « برون » ، يحدد دى برسيغال « الابن » ، فإن هذه الاشارات وردت فى خطابين بتاريخ ١٠ أغسطس سنة ١٨٣٨ ، و ٢١ مارس سنة ١٨٣٩ ، ودى برسيغال الأب توفى سنة ١٨٣٥ ؛ انظر يوسف جديرا ، تاريخ دراسة اللغة المصرية بأوروبا ص ١٨ .

من التحسين المادى — أعنى المالى — غير أن كل شيء هنا وقفى ورهين بتقلب الأحداث والأشخاص لدرجة أتى لو كنت أعرف أتى سأجد فى فرنسا — فى الحال — نصف ما أجمعه هنا لرحلت إليها توأ... (١).

ونجده فى نفس الخطاب قلقاً جداً لاهتمامه بطبع كتاب «الأنساب» الذى ترجمه عن العربية إلى الفرنسية، وكان قد كلف صديقاً له فى باريس اسمه «مسيو دوبرات» M. Duprat، أن يقوم عنه بنشره؛ يقول «برون» فى خطابه لمول — وفيما يقول دليل واضح على رقة حاله: «لقد تركت له مسألة النفقات وتقديرها، وإنى أرى أن كل شيء غير مناسب الآن للقيام بهذا النشر الذى أريده (وأريده أن يتم بأقل نفقات ممكنة)، وذلك دون إهمال ما يتطلبه ظهور الكتاب) إذ أنه قلما تصرف لنا مرتباتنا، والحكومة مدينة لنا بمرتبة سنة، فإذا كان مسيو دوبرات يثق فى الثقة الكافية، فإنى أرجو أن يتولى الطبع فى الحال، واعدأ إياه أن أقوم بسداد المبلغ منجماً كلما صرفت لنا الحكومة... وإلى هذا فإن مرتبى قد زاد فقد كنت أقتضى ثلاثة أكياس لجعلها الباشا خمسة...» (٢).

ظل الدكتور كلوت بك مديراً لمدرسة الطب المصرية حتى سنة ١٨٣٤ حيث تخلى عن منصبه للدكتور «دفيو» Dr. DuVigneau، وكان أستاذ الباتولوجيا والعبادة الداخلية؛ وفى سنة ١٨٣٩ (٣) عين الدكتور «برون» مديراً لهذه المدرسة.

ولبت «برون» مديراً لمدرسة الطب ست سنوات، وفى سنة ١٢٦١ (١٨٤٥) أنعم عليه محمد على باشا برتبة قائمقام، وفى السنة التالية (١٨٤٦) (٤) استقال من منصبه، وعاد إلى فرنسا، فأقام فى باريس ثمانى سنوات، ثم شعر بالحنين إلى مصر فعاد إليها فى أواخر سنة ١٨٥٣ حيث عمل كطبيب حر فى مدينة

(١) Ibid. p. 12.

(٢) والكيس كان يساوى «جنياها» أى أن مرتبه كان ١٥ جنبها فأصبح ٢٥ جنبها Ibid. pp. 13-14. ونلاحظ أن هذا الخطاب صادر عن مصر فى أواخر سنة ١٨٣٩، وكان نفال محمد على وقتذاك ضد الدولة العثمانية يستنفذ معظم إيرادات مصر، فلا محبب إذن أن أخرت الحكومة صرف مرتبات الموظفين.

(٣) يقول الدكتور عزت عبد الكريم، للرجع السابق، ص ٢٨٤: «والى أوائل سنة ١٢٥٤ (١٨٣٧) كان دفيو مديراً لمدرسة الطب، وخافه الدكتور بيرون» ويضم من قوله أن الدكتور «برون» تولى هذا المنصب فى سنة ١٨٣٧، ولستنا نستطيع أن نحدد — بوجه التفريب — تاريخ تعيين مديراً للمدرسة، ذلك أنه لم يشر إلى أى تغيير فى مركزه فى خطابه المرسل من القاهرة فى ٢١ مارس سنة ١٨٣٩، ولكنه تحدث إلى صديقه «مول» فى خطابه الصادر من القاهرة فى سنة ١٨٣٩ عن ترفيقه إلى هذا المنصب، وعن زيادة مرتبه تبعاً لهذه الترقية، فيكون «برون»

الإسكندرية^(١)، ولا نعرف متى غادر مصر ثانية إلى وطنه، ولكننا نعلم أنه مات في باريس في ١١ يناير سنة ١٨٧٦ في نفس السنة التي توفي فيها صديقه ومراسله العلامة ج. دي مول. وقد كتب المسيو «ارنست رينان M. Ernest Renan، مرثية للرجلين في التقرير المقدم عن اعمال الجمعية الاسيوية لسنتي ١٨٧٥ - ١٨٧٦^(٢).

قال رينان في رثائه للدكتور «برون»: «في الحادى عشر من يناير اخننى أيضاً رجل ترك في تاريخ دراستنا ذكراً باقياً، وأعني به الدكتور «برون، وهو واحد من أوائل الملتحقين بهذه الفرقة من الرجال المستعيرين المقادير الذين عضدوا - وهم في مصر - مشاريع محمد على لتحضير هذا البلد. «وبرون لم يدرس الشرق كباحث فقط، وإنما كان يؤمن - ككل أفراد الجيل الذي كان من أبنائه - بالشرق، كما كان يأمل في انبعائه من جديد؛ وقد عمل هناك في إخلاص نادر.

«وكان لإنشاء طب عربي فرنسي جزءاً من عمله، وقد أدى خدمات من نفس النوع لمنشآت مدارسنا في الجزائر، وكان يحب العرب، ويعتقد في إمكان ربطهم بالحضارة الأوروبية، ممتلئاً في ذلك بعواطف خيرية، ومتشبعاً بمبادئ فلسفة عاطفية...»^(٣).

ذكرنا فيما سبق أن «برون، كان بضمن خطابه آراءه عن الحيانين السياسية والعلمية في مصر، وآراؤه عن الحياة السياسية لانعينا هنا، وإنما بعيننا أن نعرض لآرائه عن الحياة العلمية ففيها مساس قوى بتاريخ الترجمة في ذلك العصر.

كان محمد على قد أرسل البعث إلى أوروبا، وأنشأ المدارس الحديثة في مصر وكانت جهود خريجي المدارس والبعثات مركزة أول الامر في ترجمة المؤلفات الأوروبية، وتلاهذه الجهود جهود أخرى لنشر بعض المؤلفات العربية القديمة الهامة، وقد أرخ «برون، لهذه الحركة - حركة الترجمة والنشر - تاريخاً لطيفاً مفيداً، فأرسل لصديقه «ج. دي مول» في سنة ١٨٤٢ خطاباً تحدث فيه عن المدارس الجديدة ومطبعة بولاق، فنشره في الجريدة الاسيوية - المجموعة الرابعة، المجلد الثاني سنة ١٨٤٣ - تحت عنوان:

«Lettre sur les écoles et l'imprimerie du Pacha d'Egypte, par m.a. Perron à m.j. Mohl.
22 Octobre 1842.»^(٤)

وقد استطاع «برون، أن يندمج في الوسط العلمى المصرى بحكم اشتغاله بالتدريس، وبحكم معرفته باللغة العربية، غير أن معظم الأجانب الموجودين في مصر وقتذاك للمساهمة في نهضة محمد على التعليمية

(١) وقع برون على خطابه الرسل من الإسكندرية في ١٩ يناير سنة ١٨٥٤ هكذا:

*Perron, médecin sanitaire à Alexandrie. "Voir. Artin Pacha. Op. Cit p. 109.

28 Juin 1876, 7 me série, tome VIII. (٢)

.Artin Pacha. Op. Cit. P.7. (٣)

Journal Asiatique. 4 me. serie. t. II. 1843. pp. 5-23. (٤)

والإصلاحية كانوا يجولون اللغة العربية ، وهم قوم مثقفون يحبون البحث والقراءة ، وليس في مصر مكتبات أجنبية أو محال لبيع الكتب الأجنبية ، لهذا كون هؤلاء الأجانب في القاهرة جمعية أسموها « الجمعية المصرية Societè Egyptienne »^(١) ، تحدث عنها « برون » كثيراً في خطابات له لصديقه « مول » ، فذكر أنها أسست في سنة ١٨٣٥ وكان غرضها الأول إنشاء مكتبة تضم أكثر عدد ممكن من الكتب ، وخاصة ما يتحدث منها عن الشرق : تاريخه وجغرافيته ، وأديانه ، وعاداته ... الخ ... الخ . وكانت مالية الجمعية تتكون من :

- ١ — اشتراكات الأعضاء ، واشتراك العضو في السنة مائة وخمسة قروش .
 - ٢ — هبات الرحالة الأوروبيين الذين يمرون بالقاهرة ، فإن أى سائح أوروبى كان يستطيع أن يتقدم على الجمعية ويتمتع بالقراءة في مكتبتها على شرط أن يقدمه للجمعية أى عضو من أعضائها .
- وكان هؤلاء السائحون يقدرون ما تؤديه الجمعية من فوائد ثقافية للجاليات الأوروبية في القاهرة ، فكانوا يتركون — عند رحيلهم — بعض الجنيهاات — كهيئة — في صندوق الجمعية .
- وقد تطورت أغراض الجمعية بعد نحو ست أو سبع سنوات من تأسيسها فأصبح من أغراضها طبع ونشر الكتب المتصلة بالشرق ؛ يقول « برون » ، عضو الجمعية وسكرتيرها في خطابه المرسل من القاهرة بتاريخ ٢٨ أكتوبر سنة ١٨٤٢ : « وعندنا الآن — تحت الطبع — مذكرات شقيقة جداً عن الموقع الحقيقي لبحيرة قارون بالفيوم ، وعن حدودها ، والعلاقات القديمة بينها وبين فيضان النيل .. الخ ، وهذا الكتاب من وضع « مسيو لينان » الرئيس الحالى للجمعية المصرية ... »^(٢) .
- وواضح من هذا الخطاب أن رئيس الجمعية في سنة ١٨٤٢ هو المهندس الفرنسى الشهير مسيو « لينان » وكان سكرتيرها في تلك السنة وفي سنوات مقبلة هو الدكتور « برون » ، وبفضل صلته بجولى مول وألفت

(١) Artin Pacha, Op. cit. pp. 15, 21-25, 76-77 (١) وقد مر بمصر حوالى سنة ١٨٣٥ السائح الانجليزى O. Rochfort Scott وقد وصف هذا السائح في كتابه : *Rambles in Egypt and Candia*, vol I: p. 319 ما نراه الجالية الأوروبية المثقفة في القاهرة من قلة الكتب ثم أشار إلى هذه الجمعية ، وما تؤديه من خدمات ، قال : « أما عن الكتب (في القاهرة) فانه من العسر الحصول على أى كتاب ، اللهم إلا الكتب الكثيرة التداول التي نجدها في مكتبات الدرجة الثالثة عند الاجالين ! أما الصحف فانها لا تحصل عليها إلا مرة واحدة في الشهر .. » ثم أشار إلى الجمعية المصرية بقوله : « وأخيراً نكون حجة اسمها الجمعية المصرية أسمها جين الأجانب في القاهرة ، وسندعم للرحالة خدمات كثيرة في المستقبل ، فلهذا مكتبة ، وفيها سيكون مركز صالح لاجتماعهم ، وسكرتيرها طبيب انجليزى اسمه : « فالن Walne » وقد تولى حكيمان بك رئاسة هذه الجمعية أكثر من مرة ، وفي مذكراته المعاملة المتروطة في المتحف البريطانى . M

Memoires inédits du Hekekyan Bey, déposés en manuscrit au British Musium à Londres..

أحدثت كثيرة عن هذه الجمعية .

(٢) Artin Pacha Op. cit. pp. 23, 76-77 (٢)

رغبة الآسيوية على أن تقدم لزميلاتها الجمعية المصرية المساعدات الممكنة لبيع كتبها ومنشوراتها في باريس، ويقول برون لصديقه في نفس الخطاب، اطلعت الجمعية على خطابكم الذي تعرضون فيه مساعدة الجمعية الآسيوية لتسهيل بيع الكتب التي ستشرها، وقد قبل عرضكم هذا بكل سرور، وإني أقدم لكم شكر الجميع... الخ.

وقد اعترضت هذه الجمعية صعوبات كثيرة، في عهدها الأول [ما بين ١٨٣٥ و ١٨٤٢] قام نزاع شخصي بين رئيس الجمعية دكتور فالن Dr Walne وسكرتيرها العام دكتور أبوت Dr. Abbot^(١)، وأدى هذا النزاع إلى انفصال بعض الأعضاء وتكوينهم جمعية جديدة أسماها الجمعية الأدبية Association Littéraire؛ يقول برون في خطابه السابق: «وهذه الجمعية المنفصلة تضم نحو الستين عضواً، وقد دفعوا رسم التأسيس، وتترى هذه الجمعية أن تعمل على النشر وخاصة النصوص الهيروغليفية، وتحاول أيضاً إنشاء مكتبة».

أما الجمعية المصرية فقد انتهت حياتها إلى الانحلال في عهد متأخر، فضممت مكتبها القيمة إلى المكتبة الخديوية (دار الكتب المصرية الآن) في سنة ١٨٧٣ أو سنة ١٨٧٤ تنفيذاً لوصية أعضائها الآخرين. حككيان بك Hekejian Bey ومسيو ثوربورن M. Thurborn وكافى بك Cany Bey.

ولم يقتنع برون، بإتصاله بأنداده العلماء الأوربيين المقيمين في مصر والوافدين عليها، لأنه كان معنياً بالبحث في الكتب العربية وترجمتها والكتابة عن مواضيع مختلفة من تاريخ الشرق، وقد أتى إلى مصر وعريته ضعيفة دون شك فعمل على أن يزيد معرفته بهذه اللغة ولم يابث أن وصفه صديقه وأستاذه الشيخ محمد عمر التونسى بأنه «العارف بكثير من اللغات، المنتخب لأكثر ألفاظ الطب من كلام الثقات.. (المتمكن) من العربية والفنون الأدبية»^(٢).

وكان في مدرسة الطب التي درس فيها وتولى نظارتها هيئات مختلفة تعمل مشتركة لترجمة الكتب الطبية إلى اللغة العربية، أهمها هيئة المترجمين وهيئة المحررين والمصححين، وأعضاء الهيئة الأخيرة كلهم من خيرة مشايخ الأزهر المعروف عنهم الدقة في البحث والشغف بالقراءة، فكان منهم في مدرستي الطب البشري والطب البيطري الشيخ محمد عمر التونسى، والشيخ نصر أبو الوفا الهوربى، والشيخ أحمد حسن الرشيدى، والشيخ محمد الهراوى، والشيخ سالم عوض القنيافى، والشيخ مصطفى كساب... الخ.

وقد اتصل الدكتور برون بهؤلاء المشايخ وأناد منهم، وقد كان له رأى خاص في علماء الأزهر في

(١) ما طبيان انجليزان كانا في خدمة محمد علي باشا.

(٢) كلاً من بك، كدور الصحة وبوابت المنعة، تعريب الشافى، ص ٤.

ذلك الوقت، فيه — رغم قسوته ومرارته — بعض الخطأ وبعض الصواب مما سنعرض له بالتحليل الوافي عند كلامنا عن المحررين والمصححين، وعند تقدير العام للترجمة في ذلك العصر، غير أن اثنين فقط من علماء مصر الذين اتصل بهم برون حازا إعجابه، وتلذذ عليهما وأشار إليهما في خطاباته بالإعجاب والإجلال، واعترف لهما بالاستاذية. فقد أعاناه وساعده في بحوثه وترجماته العلمية المختلفة، وهما: الشيخ محمد عباد الطنطاوى، والشيخ محمد عمر التونسى.

وقد عني «برون» كمؤلف بالمادتين اللتين كان يدرسهما في مدرسة الطب وهما الكيمياء والطبيعة، فوضع فيهما كتابين كبيرين ترجما إلى اللغة العربية، أما الكتاب الأول فهو «الجواهر السنية في الأعمال الكيماوية»، ألفه «برون» وألقاه على التلامذة أولا بأول فاستفدت منه في علم الكيمياء فوائد جمة، فلما نقلت مدرسة الطب إلى قصر العيني وعين «برون» ناظرا لها، وكان إذ ذاك ضرب بعطن في اللغة العربية، وصار يفهم النكات الأدبية، فبحث في القواميس على الألفاظ الطبية والكيمائية، وأسهر ليله في نفع المدرسة بكل فكرة وروية، فلما ووفق على طبع الكتاب قام هو بترجمته بنفسه، وأشرف على مراجعته الشيخ محمد الطراوى فراجع ثمان وخمسين ملزمة، ثم توفى فأشرف على مراجعة بقية الكتاب أستاذ «برون» وصديقه الحميم الشيخ محمد عمر التونسى الذى يقول في مقدمة الكتاب: «على أن جل هذا الكتاب كان أملى على من قبل ذلك، وصححت أكثره بلا مشارك، ولم آل جهداً في تنقيحه والله المستعان، وساعدنى في ذلك معرفة مؤلفه باللغة العربية لأنى قابلت كل مشكلة معه على أصوله الفرنسية...»^(١). وقد ساعده في هذه المراجعة تلميذ «برون» وخلفه في تدريس مادة الكيمياء بمدرسة الطب الشيخ درويش زيدان، والدكتور حسين غانم الرشيدى.

والكتاب ضخيم جدا فإنه يقع في ٣ أجزاء، عدد صفحات الأول ٢٧٦ والثاني ٤٩٤ والثالث ٤٤٠، وألحق بالجزء الأخير ذيل في ١١٩ صفحة أخرى لشرح الآلات الواردة في الكتاب، جاء في مقدمته ما يلى: «... وبعد فلما من الله سبحانه وتعالى بإتمام كتاب الكيمياء للناظر في جميع الفنون، ناظر مدرسة الطب البشرى الشهير بـ برون، وكانت فيه أعمال جمة تحتاج إلى آلات معرفتها مهمة، وكان لم يذكر في الكتاب إلا القليل مع أن عليها في الأعمال التعويل، وكان عديم ذكر جميعها في صلب الكتاب مما يحصل به الاطئاب... فقصده أن يجمع جميع الأشكال ويجمعها كالذيل ليكون بها الإكمال، ولأجل أن تكون كلها مجموعة في ورقات قليلة لتسهل مراجعتها في المهمات الجليلة، فجمعها في هذه الورقات، ووضعها آتم توضيح كما هو المنصرد للراجعات، وأمرنى أن أرتبها على حروف المعجم، لتكون في المراجعة أسهل وأقوم، فامتثلت أمره لما فيه من الفوائد... الخ».

ويسرنا أن نشير هنا إلى أن برون، وتلاميذه مصححو الكتاب قد وفقوا توفيقاً كبيراً في ترجمة أسماء كثير من هذه الآلات، ففي هذا الملحق أسماء كثير من الآلات لازالت تستعمل تستعمل حتى الآن في كتب الكيمياء الحديثة منذ وفق هؤلاء الرواد في تخييرها، ومنها مثلاً: الانبوبة، الأنيق، البودقة، الجفنة جهاز تعيين الوزن النوعي للهواء والغازات، ورق ولف، المخبار، المرشح .. الخ^(١)

وكان برون قد أعد لكل جزء فهرساً خاصاً، ولكنه رأى بعد إتمام الكتاب أن يجعل له فهرساً عاماً اقتداءً بمؤلفي أوروبا، يقول الشيخ عمر التونسي «أما بعد فإن كتاب الكيمياء الآن وقد تم، ومسلكتاه على المدارس قد عم؛ وكان قد عمل لكل جزء منه فهرسة مستقلة، .. وحيث أن أهل أوروبا يجعلون لمثل هذا الكتاب النفيس فهرسة جامعة أمر في مؤلفه أن أتبع الفهارس الثلاث، وأجعلها فهرسة عامة نافعة اقتداءً بأهل أوروبا في في مؤلفاتهم .. وأن أرتب الفهرسة المذكورة على أوائل حروف المعجم لتكون لدى المراجعة أسهل وأحكم .. فأجبت إلى ذلك حسب مراعاة .. الخ،^(٢)

وقد تم طبع الجزء الأول في بولاق في سنة ١٢٥٨ وتم طبع الجزء الثالث في اليوم الخامس من شهر ربيع الأول سنة ١٢٦٠.

أما الكتاب الثاني فقد سماه برون «الأزهار البديعة في علم الطبيعة»، وقال في مقدمته: «إني لما استخدمت بمدرسة الطب البشري معلماً للكيمياء من مدة سنتين وقت بما وجب علي فيهما بما تقر به العين، طلب مني أن أضم لتعليم علم الكيمياء علم الطبيعة فامتثلت الأمر واقتطعت من ورشة كتب هذا الفن كل زهرة بديعة، وجمعت هذا الكتاب من أحسن الفن المذكور .. ثم يقول: «ثم إني لفهمي بعض الألفاظ العربية تجنبته من الألفاظ الفرنساوية ما يعسر ترجمته إلى العربية، هذا وقد رتب هذا الكتاب على جرئين، أولهما في العلوم الطبيعية وثانيهما في الكائنات الجوية ..»^(٣)

وقد ترجم هذا الكتاب يوحنا عنحوري، وأشرف على مراجعته وتحريره الشيخ محمد الهواري، وطبع منه ألف نسخة في بولاق سنة ١٢٥٤، أي قبل أن يتم طبع الكتاب السابق بنحو ٦ سنوات، غير أن هذا الكتاب كان أول كتاب في علم الطبيعة ترجم إلى اللغة العربية فلهذا أقبل عليه تلاميذ المدارس وانكبوا

(١) انظر هذا الملحق، ص ٢، ٦، ٩، ١٦، ٢٢، ٣٤، ٤٦، ٤٧.

(٢) ص ٦٨.

(٣) ص ٥ و ٦ من مقدمة الكتاب.

عليه ما بين مطالع ودارس ، وهبت عليه من القبول نسمة صبا ، فتناهتة الاقطار وبددت نسخه أيادي سبا ، واحتيج إلى إحياء مواته ، ونشر رفاقته ^(١) ، فصدر الأمر بطبعه طبعة ثانية في عهد عباس الأول ، فطبع في بولاق سنة ١٢٦٩ .

والآن آن لنا أن نترك الحديث عن برون كؤلف لنستأنف الحديث عنه كترجم وعن جهوده في الترجمة في الفصول التالية .
